

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم 0
امابعد...

فإن عقيدة التوحيد هي العقيدة التي بعث الله بها رسله، وأنزل بها كتبه من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان كل رسول يدعو قومه إلى التوحيد الخالص بأقرب الطرق وأيسرها على أفهام الناس، بحيث كان القوم كلهم يفهمون ما يريد رسولهم منهم بكل وضوح ويسر. حتى جاء آخر الرسل ونبي الإنسانية كافة محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله عليه القرآن هدى وشفاء ورحمة للمؤمنين، وداعياً إلى عقيدة التوحيد متبعاً في ذلك منهجاً يناسب جميع الناس ومختلف الفئات.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون هذه العقيدة من القرآن الكريم مباشرة، ومن النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يnehجوا طرق الجدال العقيم، حتى ساد السلم المجتمعي في ربوع المعمورة. وهناك اسباب كثيرة ادت الى عدم السلم الاجتماعي، لعل اهمها بعد الامة عن الكتاب والسنة والجهل بالاسلام وعقائده، وضعف التربية الاسلامية الصحيحة الداعية الى أن ننظر بمنظار الإسلام لا بمنظارنا الى الاسلام0

ومن هنا احسست بضرورة البحث في سبب اختلاف المسلمين، ولأن كل أمرئ رهين بمعتقده وأسيراً لعقيدته كانت لي قناعة أن معالجة الفرقة تبدأ أولاً بالعقيدة. فاخترت (الثوابت العقديّة ودورها في السلم المجتمعي) عنواناً لبحثي، مستنبطاً أبرز ما يمكن جعله ضابطاً ليحكم أصول مسائل العقيدة. وأما خطتي في البحث فقد كانت على النحو الآتي:

المبحث الاول: تعريف الثوابت العقديّة واركائها

المبحث الثاني: اصول الثوابت العقديّة ودورها في السلم الاجتماعي0

وفي الخاتمة كانت الخلاصة واهم ماتوصلت اليه من نتائج.

إن هذه الدراسة امتداد لشموع اوقدناها في طريق السلام والوئام والمحبة الذي رسمناه طريقاً لنا نتعيش فيه سلمياً مع غيرنا من بني الإنسان، ونلقى ربنا عليه فيثيب من يشاء ويعاقب من يشاء إنه بعباده رؤوف رحيم، والحمد لله أولاً وآخر

المبحث الاول

تعريف الثوابت العقديّة واركائها

المطلب الاول: تعريف الثابت لغةً وصطلاحاً

الثابت لغة: من ثبت الشيء يثبت ثباتاً فهو ثابت، ويقال رجل ثبت، أي ثابت القلب،

و أثبتته: أي عرفه حق المعرفة، ثابت: أي صحيح [يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ] (1)،

والجمع ثوابت⁽¹⁾.

واصطلح عليه عند بعض العلماء بأنه ما لا يحتمل الزوال بتشكيك المشكك⁽²⁾. ونخلص مما سبق من تعريف الثابت في اللغة والاصطلاح الى أنّ المقصود بالثوابت العقدية: هي المسائل العقدية المعروفة لدى المسلمين حق المعرفة، المثبتة بالنص المصدق بالعقل التي لا تقبل التشكيك والجاهل بها خارج عن ملة الاسلام.

وهذه الثوابت هي أركان ثلاثة بنيت عليها عقيدة المسلمين، وهي التوحيد والنبوة والمعاد وقد جعلها المتكلمون ابواباً لعلم الكلام فجعلوا هذا الفن يقسم الى الالهيات والنبوات والغيبيات، دفاعاً وانتصاراً لهذه العقيدة وان زادت في كتبهم إلى ما يوافق العقل وما يخالفه او ما يؤيده النص وما ليس له دليل. غير أنّ ما سُودَّتْ به صفحات كتب المتكلمين من اجتهادات واستنباطات في الفروع لا تصل إلى أركان عقيدتنا فلم يكن هناك خلاف في توحيد الله تعالى، ونبوة محمد μ وأنّ هناك يوماً يحاسب فيه المسيء ويجازى فيه المحسن.

المطلب الثاني: اركان الثوابت العقدية

الركن الأول التوحيد:

إن أول أركان هذا الدين التي قامت عليه قواعده هو (التوحيد) أي ان الله عز وجل واحد لا شريك له، خالق كل شيء وأنه تعالى أوجد هذا العالم بجهاته وحدوده وأطرافه، وهذا الذي اتفق عليه أهل التوحيد وتضافرت الأدلة النقلية والعقلية وتظاهرت وتعاضدت على ذلك، وعلى ذلك اتفقت كلمة الانبياء والرسل من آدم إلى النبي الخاتم صلوات الله تعالى وسلامه عليهم.

1 ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطاء، دار العلم للملايين - بيروت، ط2، 1979م/1/245.

2 ينظر: التهانوي، محمد علي بن الشيخ بن القاضي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم الإسلامية، دار الصادر-بيروت / 1/ 173.

فهو الإله الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وعلى ذلك فطر الله تعالى الخلق، والقرآن مشحون بالأدلة القاطعة على وجود واجب الوجود ومبدع الكائنات بعد العدم الى الوجود⁽¹⁾.

وإن لهذا الثابت أسساً يبنى عليها وهي:

1- الاعتقاد بوجود الله:

فقد جاء المتكلمون بأدلة عقلية لإثبات وجوده وكان أغلبها موجّهاً للمنكرين والجاحدين لوجوده، على الرغم من أنّ النص لم يأت مُعرفاً بقضية إثبات وجود الله لأنها مسألة بديهية وفطرية ولا تحتاج الى طرح ومناقشة، غير أنه لا تخلو أغلب آياته أحاديث سنة نبيه منها فقد جاءت مقرونة بوحانيته أو صفاته، أو أوامره ونواهيه.

يقول الله تعالى: [أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ]⁽²⁾، [وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ]⁽³⁾، ويقول تعالى: [أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ]⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من توسع الأدلة عند المتكلمين لإثبات وجود الله غير أنها لا تخلو من إثبات مقدمتين:-

1. أن هذا العالم⁽⁵⁾ حادث.

1 ينظر: ابو محمد بن أحمد بن حزم/ مراتب الاجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات/ دار الكتاب العربي - بيروت/ ط3 - 1985م/ 167. وابو اسماعيل السيد مصطفى نوري الحسني/ الارشاد لمن انكر المبدأ والنبوة والمعاد/ مطبعة الاداب - بغداد/ 1329هـ/ 7.

2 ابراهيم: الآية: 10.

3 لقمان: الآية: 32.

4 النمل: الآية: 62.

5 يقول البغدادي في الفرق (فقد أجمعوا على أن العالم كل شيء هو غير الله عزوجل، وعلى أن كل ما هو غير الله تعالى وغير صفاته الأزلية مصنوع مخلوق). (البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت429هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت، ط4-1400م / (315).

2. وأنه يحتاج الى محدث.

وقد أيدهم النص في كل ذلك فبالنسبة الى المقدمة الاولى: يقول تعالى: [كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ]⁽¹⁾

يقول صاحب الإنصاف "..... وكذلك الخليل عليه السلام إنما استدل على حدوث الموجودات بتغيرها وانتقالها من حالة الى حالة"⁽²⁾.
واستدل المتكلمون على وجوده كذلك بأدلة عقلية منها:-

دليل العناية والاختراع: وخلاصة هذا الدليل: أن كل موجود في هذا الكون من مخترعات لا بد له من مخترع وهذا المخترع هو الله تعالى، كما أن هذه المخترعات جاءت موافقة لوجود الانسان وهذه الموافقة جاءت من عليم حكيم قادر⁽³⁾.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الدليل مستوحى من كتابه تعالى بقوله تعالى: [أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا]⁽⁴⁾.

ودليل الوجوب: وهو أن موجد العالم إما أن يكون واجباً أو مستحيلاً أو ممكناً، فلا يجوز أن يكون موجد العالم مستحيلاً كما لا يكون ممكناً، مستخدمين الدليل العقلي والقياس المنطقي فوجب أن يكون موجد العالم واجب الوجود⁽⁵⁾.

1 القصص: الآية 88.

2 ابو بكر بن الطيب الباقلائي (ت403هـ) / الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به/ تحقيق: الإمام محمد زاهد بن الحسن الكوثري/ ط2 - 1963م / مؤسسة الخانجي/ 30.

3 ينظر: ابن رشد، مناهاج الأدلة في عقائد أهل الملة، تقديم وتحقيق: محمود قاسم: مكتبة الانجلو- مصر/ ط2/ 150-154.

4 النبأ: 6-11.

5 اللقاني، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، الشيخ إبراهيم (ت1078هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت/ ط1- 1983م / 52.

2-توحيد الله عن الشريك والند.

قال تعالى: [وََمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ]⁽¹⁾.

وقال p: ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله))⁽²⁾.

وهو ما أراده بعض العلماء بتوحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الاسماء والصفات⁽³⁾.

واستدل المتكلمون على وحدانيته تعالى بدليل قرآني هو قوله تعالى: [لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا]⁽⁴⁾ وسموه بدليل التمانع ومختصره، أننا لو قدرنا إلهين وفرضنا الكلام في جسم وقدرنا من أحدهما إرادة تحريكه ومن الثاني إرادة تسكينه فإما أن ينفذ مرادهما معاً، وعندئذ لزم اجتماع النقيضين، او أن ينفذ مراد أحدهما من دون الآخر وعندئذ يلزم عجز من لم ينفذ مراده، وإن لم ينفذ مراد كليهما لزم عجز كل منهما وكل هذه الوجوه مستحيلة⁽⁵⁾.

3-تنزيه الله عن كل ما لا يليق به.

أثبت المتكلمون ما يصح ان يُثبت له من القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع والبصر، والكلام، ونفوا عنه كل ما لا يليق به⁽⁶⁾. يقول تعالى: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

1 الأنبياء: الآية: 25.

2 النيسابوري مسلم الحجاج ، محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي- بيروت / رقم الحديث 21/ كتاب الايمان /باب الامر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله.

3 توحيد الربوبية: أي أن الله وحده خالق كل شيء، وتوحيد الألوهية: هو استحقاقه سبحانه العبادة وحده لا شريك له. وتوحيد الاسماء والصفات: إثبات ما اثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات(ينظر: شرح قصيدة ابن القيم/365).

4 الانبياء: 22.

5 ينظر: الجويني، إمام الحرمين عبد الملك تعليق الشيخ زكريا عميرات، كتاب الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، دار الكتب العلمية-بيروت/ط1-1965م / 53.

6 ينظر: علي بن محمد، (ت792هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الارنؤط، مؤسسة الرسالة ناشرون-بيروت/ط3-1998م / 330.

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ⁽¹⁾.

وكمحاولة لرد كل ما كتب في الإلهيات الى المنبع الصافي لابد من رد كل الخلافات الى هذه الأسس: الاعتقاد بوجود الله تعالى ووحدانيته وتنزيهه عما لا يليق به.

الركن الثاني: النبوة

إن الحكمة لله تعالى في خلقه اقتضت بوجود التكليف ولا تكليف الا بالوسائط بين الله تعالى وبين خلقه إلا أن حكمته البالغة اقتضت أن يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة النبي يبلغهم كلامه ويعرفهم أحكامه، وكانوا من البشر دفعاً للحرص عنهم وللتلقي بلا كلفة منهم، وواجب على كافة الخلق الايمان بهم وتصديقهم في جميع ما أتوا به من عند ربهم والشهادة لهم بأنهم على حق.

وإنّ الرسالات قد ختمت بسيد الأنبياء أبي القاسم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم (صلى الله عليه وسلم)، وجُعِلَتْ رسالته عامة الى سائر الخلق الأحمر منهم والأسود ولا نبي بعده، وأنزل الله عليه كتاباً عربياً أودع فيه علوم الأولين والآخرين، والطريقة المحمدية كملت على ما قال خالقنا⁽²⁾.

والذي أجمع عليه المتكلمون في ركن النبوة مسائل عدة أهمها:-

أولاً: النبوة حق والايمان بها واجب:

قال تعالى: [وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ]⁽³⁾.

وقد كان مجمل شغل أصحاب هذا الفن -علم الكلام- في النبوات مقتصرأ على الرد على شبهات المنكرين والجاحدين منهم فمن انكر النبوات والرسالات، فذلك لأنه ينكر الإله تعالى ولا يعترف بوجوده ومن المنكرين من يعترف بوجود الله ولكن ينكر النبوة كالبراهمة

1 الشورى: اية: 11.

2 الحسنی، أبو إسماعيل السيد مصطفى نوري، الإرشاد لمن أنكر المبدأ والنبوة والمعاد، مطبعة الآداب- بغداد، 1321هـ / 13.

3 البقرة: الآية 177.

وقد جوبهوا بأدلة شافية لا يمكن ردها بحال⁽¹⁾.

ثانياً: الأنبياء والرسل بشر يوحى إليهم:

قال تعالى: [وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ*] ⁽²⁾0

وقد جاء في وصف النبي (صلى الله عليه وسلم) "كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته، ويخدم نفسه"⁽³⁾.

والمتكلمون مجمعون على بشرية الرسل غير أن بشريتهم هذه مقيدة بشرط أنهم منزهون عن المنفريات أو أي نقص في الخلق والخلق⁽⁴⁾.

ثالثاً: النبوة ختمت بـ محمد p:

يقول تعالى [مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ] ⁽⁵⁾، ويقول نبيه p ((مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به يعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين))⁽⁶⁾.

1 ينظر: محمد بن عمر الخطيب الرازي/ النبوات وما يتعلق بها/ تحقيق: د. أحمد حجازي السقا/ دار ابني زيدون – بيروت/ ط1- 1986م.

2 الانبياء: الآية 7-8.

3 أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي (ت 307هـ)/ مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق/ ط1- 1984م/ 8/ 286/ رقم الحديث: 4873.

4 ينظر: الشيخ نور الدين الصابوني/ كتاب البداية من الكفاية في الهداية في اصول الدين/ تحقيق فتح الله خليف/ دار المعارف – مصر/ 1969م/ 95.

5 الاحزاب: 40.

6 محمد بن اسماعيل، (ت256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير- بيروت/ ط3- 1987م / رقم الحديث: 3342/ كتاب المناقب/ باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.

رابعاً: إن النبوة هي منحة إلهية:

ومعنى ذلك أنّ الرسالة لا تأتي إلاّ بمحض اختيار من الله عز وجل كما قال في محكم كتابه [**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**]⁽¹⁾.

وذهب المتكلمون الى تأكيد هذا الثابت رداً على كل من خالفت عقولهم صريح القرآن من الذين ذهبوا إلى أن النبوة فيض يفيض على الإنسان⁽²⁾ بحسب استعداداته وهي مكتسبة عندهم وهذا قول بعض الفلاسفة وكذلك الرقوتي صاحب مذهب الاتحادية⁽³⁾.

الركن الثالث: المعاد.

والمعاد عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم وسوقهم إلى موقف واحد وصرف الناس من الموقف إلى الجنة أو النار⁽⁴⁾.

لما كان الحق تعالى شأنه ملكاً جليلاً ومقتدراً عظيماً كان شأنه أن يكون أمراً ناهياً يعد ويوعد، ويثيب ويعاقب، فاقتضت إرادته أن يجعل الدار الدنيا دار تكليف والدار الآخرة دار جزاء إن خيراً فخير وإن شراً فشر والعاقبة إما الجنة أو النار⁽⁵⁾.

قال سبحانه في محكم كتابه: [**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**]⁽⁶⁾، وبعد أن بين أنه انما خلقهم لحكمة واثبت البعث نزه نفسه عن فعل العبث بقوله تعالى: [**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**]⁽⁷⁾.

1 الانعام: 124.

2 ينظر: الحكمي، الشيخ حافظ أحمد، معارج القبول شرح سلم الوصول الى علم الكلام والتوحيد، تحقيق: سيد عمران وعلي محمد علي، دار الحديث القاهرة، 1999م، 1/ 297.

3 وهو ابن سبعين عبد الحق بن ابراهيم المقدسي الرقوتي ولد سنة اربع عشرة وستمئة، واشتغل بعلم الاوائل والفلسفة فتولد له الإلحاد. (معارج القبول 1/ 297).

4 ينظر: اللقاني، تحفة المريد شرح جوهره التوحيد، / 170.

5 ينظر: الارشاد لمن انكر المبدأ والنبوة والمعاد/ 32-33.

6 المؤمنون: الآية: 115.

7 ال عمران: الآية: 191.

وقد اتفق جميع اهل القبلة على تباين فرقهم على القول بالبعث وعلى تكفير من أنكر

ذلك⁽¹⁾.

فكانت مباحث المتكلمين في المعاد لإثبات حقيقة ، فقد شرعوا في بيان المعاد هل هو

جسماني أم روحاني أم جسماني وروحاني، وكيف يكون معاد الاجساد أَبَعْدَ التفرق أم بعد

الانعدام⁽²⁾.

المبحث الثاني

اصول الثوابت العقدية ودورها في السلم الاجتماعي

لقد كثرت البدع في عقائد المسلمين وكان مِنْ أسباب ذلك الإعراض عن النص

والاعتماد على الرجال، فاختلّفوا في الكتاب وقالوا على الله بغير علم وتكلموا بالمتشابه

وخدعوا جهال الناس بذلك.

ونرى الكتاب والسنة لا يوافقان ما جعلوه اصولاً لعقيدتهم فهي ليست بأصول الدين

الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه، ففروا بذلك من الهدى إلى الضلالة ومن السنة إلى

البدعة ومن النور إلى الظلمات فضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون

1 ينظر: الفصل في الملل والاهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل-بيروت/1985، ب.ط / 4 / 137.

2 ينظر: الايجي، عضد الدين عبد الرحمن (ت780هـ)، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب-بيروت / 373-371، الارشاد/ 371-374.

صنعاً⁽¹⁾.

ولا سبيل لإرجاع العقيدة صافية نقية إلا بالرجوع الى الكتاب والسنة وبالالتزام الشديد

بهما.

المطلب الأول

وجوب الإيمان بكل ما اخبر به الرسول μ سواء عرفنا معناه او لم نعرف

1- إن ما اخبر به الرسول μ عن ربه تعالى يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه ام لم نعرف، فما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة وجب على كل مؤمن الإيمان به وان لم يفهم معناه⁽²⁾، قال تعالى: [لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً]⁽³⁾.

وهذا يقتضي أنّ ما بلغه الرسول μ حق من عند الله تعالى يوافق علم الله ومراده، فإن ما أمر به الرسول أمر به الله ويجب اتباعه، وقد جعل الله تعالى بعض الكتاب محكماً يُعرف معناه وتُدرّك حقيقته وبعضه متشابهاً وهو ما لم تعلم حقيقته⁽⁴⁾، فلا بد من الإيمان بالمحكم والعمل به، والإيمان بالمتشابه وتفويض العلم بحقيقته الى قائله، [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

1- ينظر: الحكمي، معارج القبول ، 1/ 147. و ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم 728هـ، النبوات، المطبعة السلفية، القاهرة، ب. ط، 1386هـ / 1/ 137 الاسفراييني، الإمام أبو مظفر (ت471هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - بيروت، ط1-1403-186. الشاطبي، أبو أسحاق إبراهيم تحقيق: سيد إبراهيم، الاعتصام، دار الحديث-القاهرة/2003م ، 2/ 534.

2 ينظر: عثمان بن علي حسن/ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد/ مكتبة الرشد - الرياض/ ط4 - 1997م / 1/ 223.

3 النساء: اية 166.

4 ينظر: مرعي بن يوسف المقدسي (1033هـ)/ أفاويل الثقات في تأويل الاسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات/ تحقيق شعيب الارناؤوط/ مؤسسة الرسالة - بيروت/ ط1 - 1406هـ / 49.

تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ⁽¹⁾.

وكلاهما- المحكم والمتشابه – حق، وقد نهى (صلى الله عليه وسلم) عن معارضة حق بحق؛ لأن ذلك يقتضي التكذيب بأحد الحقين أو الاشتباه والحيرة والواجب التصديق بكل النصوص وإن لم ندرك حقيقتها، فقد جعل الإمام مالك – رحمه الله – مجرد السؤال عنها بدعة، لانه يؤدي إلى التكذيب بالنصوص، فلما سئل عن الاستواء قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة⁽²⁾.

فإنَّ عدم العلم بالحقائق لا ينفي وجودها وعدم الوجدان للشيء لا يعني عدم الوجود له فما أخبر به p هو حق ثابت لا شك فيه.⁽³⁾ فيجب اتباع أمر الله وما أخبر به وجب تصديقه كما يجب تصديق ما أخبر الله به، فأقوال المبتدعة تضمنت تكذيب كثير مما جاء به الرسول p، ولما انتشر الكلام المحدث ودخل فيه ما يناقض الكتاب والسنة صاروا يعارضون به الكتاب والسنة⁽⁴⁾.

يقول فيه شارح الطحاوية " إن عامة من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق، فانما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول وترك النظر والاستدلال الموصول الى معرفته فلما اعرضوا عن كتاب الله ضلوا"⁽⁵⁾0

فكل ما ورد بحقه تعالى من أسمائه وصفاته سواء صفات الذات أو الأفعال أو

1 ال عمران: الآية 7.

2 البيهقي، الحافظ أبو بكر بن الحسين (ت458هـ)، كتاب الاسماء والصفات، تحقيق: عماد الدين احمد حيدر، دار الكتاب العربي-بيروت/ ط1-1985م 2/ 151.

3 ينظر: عثمان بن علي حسن/ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، مكتبة الرشيد – الرياض/ ط4 – 1997م/ 1/ 236.

4 ينظر: احمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت728هـ)/ الصارم المسلول على شاتم الرسول/ تحقيق: محمد عبد الله الحلواني، محمد كبير شودري/ دار ابن حزم – بيروت/ ط1 – 1417 هـ / 2/ 329.

5 ينظر: الامام القاضي علي بن علي بن أبي العز الدمشقي ت792هـ/ شرح العقيدة الطحاوية/ تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الارنؤوط/ مؤسسة الرسالة ناشرون – بيروت/ 77.

الصفات الموهمة للتشبيه – وفعاله تؤمن بها سواء عرفنا معناها أم لم نعرف.

والأمر ذاته في النبوات والسمعيات فاصول العقيدة في النبوات، حق وأمرنا أن نؤمن بها وإن الانبياء والرسل بشر يوحى اليهم وهي منحة ربانية من ربهم وإن خاتم الانبياء نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم).

وما يتعلق بالغيبيات من الجن والملائكة والروح فكل ما ذكره النص من كتاب وسنة فهو من أصول الدين وما ورد مجملاً تؤمن به مجملاً وما ورد مفصلاً فهو بتفصيلاته من أصول الدين.

المطلب الثاني: النص جاء بأصول الدين جميعاً

إن كل ما يستحق أن يسمى أصول الدين قد جاء بيانه في الكتاب والسنة⁽¹⁾.

يقول شارح قصيدة ابن القيم بياناً لأصل الدين " أصل الدين ما تم الهدى به وبه قوي الايمان وسواه ليس بموجب من لم يحط علماً به"⁽²⁾.

فالكتاب والسنة اشتملا على أصول الدين وعلى براهين هذه الأصول، يقول ابن تيمية: "إن القرآن بُيِّن فيه أصول الدين في المسائل والدلائل في غاية الاحكام ونهاية التمام"⁽³⁾. فسواء كانت أصول الدين مسائل او دلائل فقد جاء في الكتاب والسنة بيانها شافياً قاطعاً للعدر، بل كون هذه المسائل من أصول الدين يقتضي بيان الرسول p لها هذا من أعظم ما بلغه الرسول p وبينه للناس، وهو من أعظم ما اقام الله سبحانه الحجة على عباده فيه بالرسل الذين بلغوه وبينوه، وكتاب الله الذي نقله الصحابة ثم التابعون ألفاظه ومعانيه.

1 ينظر: منهج الاستدلال / 1 / 245.

2 أحمد بن إبراهيم بن عيسى/ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم/ تحقيق: زهير الشاويشي/ المكتب الاسلامي – بيروت/ ط3 – 1406هـ/ 381/1.

3 أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (728هـ)/ بيان تلبیس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية/ تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم/ مطبعة الحكومة – مكة المكرمة/ ط1 – 1392هـ/ 246.

والحكمة التي هي سنة رسول الله p والتي نقلوها أيضاً عن الرسول p مشتملة من ذلك على غاية المراد وتمام الواجب والمستحب⁽¹⁾.

ويقول صاحب أبجد العلوم: "واعلم أنّ أصول الدين اثنان لا ثالث لهما الكتاب والسنة"⁽²⁾. ودليل ذلك قوله تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)⁽³⁾، ف قيل يقصد به اللوح المحفوظ وقيل المقصود به القرآن⁽⁴⁾0

ومنه ما رواه ابن ماجة عن ابي الدرداء عن النبي p قوله: ((قد تركتم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك))⁽⁵⁾. فمن أصول العقيدة في النبوات أنها حق وأنها أمرنا أن نؤمن بها وأن الأنبياء والرسول بشر يوحى اليهم وهي منحة ربانية من ربهم، وأن النبوة قد ختمت بمحمد p .

ويخرج بذلك ما تعلق بهذا الباب من مسائل طال الخلاف حولها كمعنى النبي والمقصود من الرسول وطرق إثبات النبوة أ تكون بالمعجزة فحسب أم لها أدلة أخرى على صدق الرسول؟

كما أن كل ما وَرَدَ ذِكْرُهُ في النص من الكتاب والسنة فهو من أصول الدين كالموت وعذاب القبر ونعيمه والمعاد الجسماني ومشاهد يوم القيامة 0

المطلب الثالث

الاحتكام إلى الكتاب والسنة فيما اختلف فيه من أصول الدين

1 ينظر: منهج الاستدلال / 1 / 248.

2 صديق بن حسن القنوجي (1307هـ) / أبجد العلوم والوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم / عبد الجبار زكار / دار الكتب العلمية – بيروت / 1978م / 2 / 405.

3 سورة الانعام / الآية 38.

4 ينظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم (ت751هـ) / شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي / دار الفكر-بيروت / 1398هـ / 40.

5 النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم (ت405هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1990، 1 / 175 / رقم الحديث: 331.

إن كل ما تنازعت الأمة واختلفت فيه من أصول الدين يجب رده الى الكتاب والسنة، وظاهرة التنازع والاختلاف بين البشر ظاهرة أزلية من القدم.

وقد أكد القرآن حتمية ذلك الخلاف حسبما شاءت إرادة الله وحكمته⁽¹⁾، قال تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)⁽²⁾، ((قوله ولا يزالون مختلفين على أديان شتى إلا من رحم ربك فهداهم ولذلك خلقهم وللأختلاف خلقهم وقيل لهما))⁽³⁾.

فربما يكون الخلاف ممدوحاً شرعاً، كمخالفة المسلمين للمشركين، لأنه من لوازم استمساكهم بدينهم الحق.

والشريعة الإسلامية أمرت بمخالفة المشركين ونهت عن التشبه بهم سواء كان أمرها ونهيها على وجه الحتم والإلزام أو على وجه الندب والاستحباب⁽⁴⁾، (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)⁽⁵⁾.

ومن لوازم ذلك مخالفة المسلم لأعياد وعبادات وتقاليد الجاهلية قال تعالى: (وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)⁽⁶⁾.

فاختلاف أهل البدع هو من هذا النمط فهم من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً الذين يجعلون كل ما يوافق رأيهم المحكم الذي يجب اتباعه وما يخالفه هو المتشابه وهذا الاختلاف هو الذي يؤول الى العداوة والبغضاء بين الأمة لأن كلاً من الطائفتين لا تعترف بالأخرى

- 1 ينظر: النبوات/94/1، ومنهج الاستدلال/287/1، وعبد الله احمد/شرعية الاختلاف/دار الهادي-بيروت/ط1-2006م/21.
- 2 سورة هود/ الآية 118-119.
- 3 أبو الفضائل أحمد بن محمد المختار الرازي/ كتاب حجج القرآن/ تحقيق: احمد عمر المحمصاني/ دار الرائد العربي-بيروت/ط2-1982/16.
- 4 ينظر: عبد الكريم زيدان/ الخلاف في الشريعة الإسلامية/ مؤسسة الرسالة-بيروت/ط2-1988م/19.
- 5 سورة الجاثية/ الآيات (18-19-20).
- 6 سورة الاحزاب/ الآية 33.

وبما معها من الحق ولا تنصفها، بل تزيد على ما عندها من الحق زيادات من الباطل والأخرى كذلك⁽¹⁾.

يدل على ذلك قوله تعالى: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)⁽²⁾

الخاتمة

1- ان الثوابت العقدية هي المسائل العقدية المعروفة لدى المسلمين حق المعرفة، المثبتة بالنص المصدق بالعقل التي لا تقبل التشكيك والجاهل بها خارج عن ملة الاسلام، وهي من المسائل المهمة في السلم الاجتماعي⁰

2- إن أول أركان ثوابت العقيدة هو (التوحيد) أي ان الله عز وجل واحد لا شريك له، خالق كل شيء وأنه تعالى أوجد هذا العالم بجهاته وحدوده وأطرافه، وعلى ذلك اتفقت كلمة الانبياء والرسل من آدم إلى النبي الخاتم صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، فالتوحيد اساس مهم في جمع الكلمة وتوحيد الصف على عقيدة سليمة⁰

3- إن حكمة الله تعالى في خلقه اقتضت بوجود التكليف ولا تكليف الا بالوسائل بين الله تعالى وبين خلقه وذلك بواسطة النبي يبلغهم كلامه ويعرفهم أحكامه، وكانوا من البشر دفعاً للخرج عنهم وللتلقي بلا كلفة منهم، وواجب على كافة الخلق الايمان بهم وتصديقهم في جميع ما أتوا به من عند ربهم والشهادة لهم بأنهم على حق، فالانبياء هم اصحاب السلم والاسلام .

4- إن ما اخبر به الرسول عن ربه تعالى يجب الايمان به، سواء عرفنا معناه ام لم نعرف، فما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة وجب على كل مؤمن الايمان به وان لم يفهم

1 ينظر: شيخ الإسلام ابن تيمية/ الجماعة والفرقة/ جمعه أبو الفضل عبد السلام/ المكتبة الاسلامية- مصر/ ط2-2001م/ 37-41.

2 سورة النساء/ الآية 59.

معناه0

- 5- غياب العلم الشرعي وتفتشي الجهل سبب عظيم لوقوع الخلاف في العقيدة, فوجب العناية بطلب العلم الشرعي من مصادره الأصلية الصحيحة.
- 6- ان العقيدة الإسلامية النقية هي السبيل لتحقيق الأمن المجتمعي. وهي خير ضابط لسلوك الإنسان.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- 1- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم 728هـ، النبوات، المطبعة السلفية، القاهرة، ب. ط، 1386هـ0
- 2- ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة، تقديم وتحقيق: محمود قاسم: مكتبة الانجلو-مصر/ ط2 0
- 3- ابو اسماعيل السيد مصطفى نوري الحسني/ الارشاد لمن انكر المبدأ والنبوة والمعاد/ مطبعة الاداب – بغداد/ 1329هـ0
- 4- أبو الفضائل أحمد بن محمد المختار الرازي/ كتاب حجج القرآن/ تحقيق: احمد عمر المحمصاني/ دار الرائد العربي-بيروت/ ط2-1982 0
- 5- ابو بكر بن الطيب الباقلاني (ت403هـ)/ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به/ تحقيق: الإمام محمد زاهد بن الحسن الكوثري/ ط2 – 1963م/ مؤسسة الخانجي0
- 6- ابو محمد بن أحمد بن حزم/ مراتب الاجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات/ دار الكتاب العربي – بيروت/ ط3 – 1985م0
- 7- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: 456هـ)، الفصل في الملل والاهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر و د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل-بيروت/ 1985، ب. ط0
- 8- أحمد بن إبراهيم بن عيسى/ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم/ تحقيق: زهير الشاويشي/ المكتب الاسلامي – بيروت/ ط3 – 1406هـ0
- 9- أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (728هـ)/ الجماعة والفرقة/ جمعه أبو الفضل عبد السلام/ المكتبة الاسلامية- مصر/ ط2-2001م0
- 10- أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (728هـ)/ بيان تلبیس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية/ تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم/ مطبعة الحكومة – مكة المكرمة/ ط1 – 1392هـ0
- 11- احمد بن عبد الحلیم بن تيمية (ت 728هـ)/ الصارم المسلول على شاتم الرسول/ تحقيق: محمد عبد الله الحلواني، محمد كبير شودري/ دار ابن حزم – بيروت/ ط1 – 1417

هـ0

- 12- أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي (ت 307هـ) / مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق / ط1 - 1984م0
- 13- الاسفراييني، الإمام أبو مظفر (ت 471هـ)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب - بيروت، ط1 - 1403هـ.
- 14- الامام القاضي علي بن علي بن أبي العز الدمشقي ت 792هـ / شرح العقيدة الطحاوية / تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الارنؤوط / مؤسسة الرسالة ناشرون - بيروت0
- 15- الايجي، عضد الدين عبد الرحمن (ت 780هـ)، المواقف في علم الكلام، عالم الكتب - بيروت0
- 16- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت 429هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، منشورات دار الافاق الجديدة - بيروت، ط4 - 1400م0
- 17- البيهقي، الحافظ أبو بكر بن الحسين (ت 458هـ)، كتاب الاسماء والصفات، تحقيق: عماد الدين احمد حيدر، دار الكتاب العربي - بيروت / ط1 - 1985م0
- 18- التهانوي، محمد علي بن الشيخ بن القاضي، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم الإسلامية، دار الصادر - بيروت0
- 19- الجويني، إمام الحرمين عبد الملك تعليق الشيخ زكريا عميرات، كتاب الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، دار الكتب العلمية - بيروت / ط1 - 1965م0
- 20- الحسني، أبو إسماعيل السيد مصطفى نوري، الإرشاد لمن أنكر المبدأ والنبوة والمعاد، مطبعة الآداب - بغداد، 1321هـ0
- 21- الحكمي، الشيخ حافظ أحمد، معارج القبول شرح سلم الوصول الى علم الكلام والتوحيد، تحقيق: سيد عمران وعلي محمد علي، دار الحديث القاهرة، 1999م0
- 22- الشاطبي، أبو أسحاق إبراهيم تحقيق: سيد إبراهيم، الاعتصام، دار الحديث - القاهرة / 2003م0
- 23- الشيخ نور الدين الصابوني / كتاب البداية من الكفاية في الهداية في اصول الدين / تحقيق فتح الله خليف / دار المعارف - مصر / 1969م0
- 24- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين - بيروت، ط2، 1979م0
- 25- صديق بن حسن القنوجي (1307هـ) / أبجد العلوم والوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم / عبد الجبار زكار / دار الكتب العلمية - بيروت / 1978م0
- 26- عبد الكريم زيدان / الخلاف في الشريعة الإسلامية / مؤسسة الرسالة - بيروت / ط2 - 1988م0
- 27- عبد الله احمد / شرعية الاختلاف / دار الهادي - بيروت / ط1 - 2006م0
- 28- عثمان بن علي حسن / منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، مكتبة الرشيد - الرياض / ط4 - 1997م0
- 29- علي بن محمد، (ت 792هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون - بيروت / ط3 - 1998م0
- 30- اللقاني، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، الشيخ إبراهيم (ت 1078هـ)، دار

- الكتب العلمية- بيروت/ ط1-1983م0
- 31- محمد بن أبي بكر ابن القيم (ت751هـ)/ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل/ تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي/ دار الفكر-بيروت/1398هـ0
- 32- محمد بن اسماعيل، (ت256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير-بيروت/ ط3-1987م0
- 34- محمد بن عمر الخطيب الرازي/ النبوات وما يتعلق بها/ تحقيق: د. أحمد حجازي السقا/ دار ابني زيدون – بيروت/ ط1- 1986م0
- 35- مرعي بن يوسف المقدسي (1033هـ)/ أقاويل الثقات في تأويل الاسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات/ تحقيق شعيب الارناؤوط/ مؤسسة الرسالة – بيروت/ ط1 – 1406هـ0
- 36- النيسابوري مسلم الحجاج ، محمد فؤاد عبد الباقي، صحيح مسلم، دار احياء التراث العربي- بيروت0
- 37- النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم (ت405هـ)، المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1990 دار الكتب العلمية ، بيروت0